جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد السادس- العدد الرابع
أكتوبر 2025م

الرقم المعياري الموحد

P-ISSN 1658-872X

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية

معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري

جامعة الجوف سابقاً

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر

جامعة الحدود الشمالية سابقاً

أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

جامعة أم القرى

أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي

جامعة الملك سعود

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب

جامعة الملك سعود

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي

جامعة بيشة

أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي

جامعة القصيم

أ.د. غيثان بن علي جريس

جامعة الملك خالد

أ. د. محمد بن منصور حاوي

جامعة الملك خالد

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة :

/https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals

وفق الشروط الاتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

إشكالية الصراع السياسي والمذهبي بين المغول وبلاد كيلان في عهد خدابنده في ضوء تفردات المؤرخ العيني ومقارنته بالمصادر المملوكية

أ.م.د/ مشعل محمد العنزي أ.د / سند عبدالفتاح

جامعة الكويت – الكويت

مستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على موضوع لم ينل حظه من الدراسة من قبل الباحثين المعاصرين وهو موضوع الصراع العسكري بين المغول وبلاد كيلان المجاورة لهم؛ ذلك الصراع الذي لجأ إليه المغول لتأمين الخطوط الدفاعية لدولتهم وتوسيع رقعتها الجغرافية والاستفادة من ثروات هذه البلاد الاقتصادية؛ إلا أن هذه المغامرة العسكرية كانت عواقبها وخيمة على المغول حيث أدت في النهاية إلى تكبدهم خسائر فادحة.

تدور إشكالية هذا البحث أيضًا حول تفرد الحافظ المؤرخ بدر الدين العيني بمعلومات نادرة حول هذا الصراع، لا نجد لها صدى بين المصادر المملوكية الأخرى؛ مما فتح الباب حول جدلية مهمة تمثلت في مرجعية هذا المؤرخ، ومن أين استقى تفاصيل معلوماته عن العصر المملوكي البحري والتي تتطلب أن يكون شاهد عيان عليها، بالرغم من أنه مؤرخ جركسي عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

اتبع البحث عدة مناهج منها: المنهج الوصفي، ومنهج تحليل المضمون، والمنهج الإحصائي لشذرات النصوص الواردة في المصادر للوصول إلى رؤية منطقية حول طبيعة هذا الصراع؛ بالإضافة إلى مقارنة ما ورد عند العيني بالمعلومات الواردة عن هذا الصراع في المصادر المملوكية الأخرى.

كشفت الدراسة أن الحافظ العيني نقل أغلب معلوماته عن الصراع المغولي مع بلاد كيلان من المؤرخ اليوسفي في كتابه "نزهة الناظر"، وأن شرارة هذا النزاع كانت مذهبية في الظاهر.

الكلمات المفتاحية: المغول– خدابنده– كيلان– براق– قطلوشاه– الناصر محمد.

The Problem of the Political and Sectarian Conflict between the Mongols and Kilan During the Reign of Khudabandah In Light of the Uniqueness of the Historian Al-Ayni and Comparison with Mamluk Sources

Abstract:
This research aims to shed light on a topic that has not been studied by contemporary researchers, namely the military conflict between the Mongols and the neighboring country of Kilan, a conflict to which the Mongols resorted to secure the defensive lines of their state. This research also revolves around the uniqueness of the historian al-Ayni's rare information about this conflict that we do not find an echo among other Mamluk sources, which opened the door to an important dialectic represented in the reference of this historian. He was a Circassian historian who lived in the ninth century AH /fifteenth AD, and lived in the ninth century AH / fifteenth AD.

The research follows several methods, including the descriptive method, the content analysis method, and the statistical method of text fragments contained in the sources to reach a logical vision about the nature of this conflict. In addition, it compares between Al-Ayni's information about this conflict and information of other Mamluk sources.

The study reveals that al-Ayni transferred most of his information about the Mongol conflict with the country of Kilan from the historian al-Yusufi in his book "Nuzhat al-Nahr." In addition, the spark of this conflict was apparently sectarian.

Keywords: Mongols, Khudabandah, Kilan, Buraq, Qatlushah, Nasir Muhammad.

المقدمة:

يعد المؤرخ الحافظ بدر الدين العيني من بين مؤرخي المماليك الموسوعيين الذين تناولوا العصر المملوكي بالدراسة منذ بدايته وحتى عصر دولة المماليك الجراكسة، إلا أنه اختلف عن أقرانه من حيث التفردات التي انفرد بها مصنفه الموسوعي "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"؛ لبعض الحوادث في العصر المملوكي البحري في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ولا نجد لها صدى عند باقي مؤرخي هذا العصر، وبالرغم من ذكره لبعض المصادر التي نقل منها؛ إلا أنه مما يؤسف له أنه في كثير من الأحداث التي تفرد بها لم يذكر مرجعيته التي نقل عنها، وهو ما أثار الكثير من الإشكاليات حول مدى صحة معلوماته خاصة وأنه لم يكن معاصرًا لهذه الأحداث أو شاهد عيان عليها.

كان الحافظ العيني انعكاسًا لطبيعة العصر المملوكي الجركسي الذي تميز بمشاحناته بين المؤرخين، فقد حدثت سجالات بينه وبين المؤرخ الحافظ ابن حجر العسقلاني على الصعيد المذهبي جعلت كل واحد منهما يقدح في الآخر، وكان من بين الاتهامات التي طالت العيني أنه كان ينقل في أمور شرح الأحاديث عن ابن حجر العسقلاني دون الإشارة إلى اسمه، وهو ما جعل الشبهات تحيط به أيضًا في الجانب التاريخي؛ وفتح الباب أمام الباحثين لحصر المصادر التي نقل عنها تفرداته، وبصفة خاصة مرجعيته عن الصراع المغولي مع القوى المجاورة لهم، وتحديدًا الجوانب السياسية والمذهبية مع بلاد كيلان أو جيلان.

أشار العيني في مصنفه إلى بعض المؤرخين الذين نقل عنهم؛ فنجده فيما يخص مطلع الدولة المملوكية نقل عن المؤرخ أبو شامة حوالي خمسين مرة. أما فيما يخص أحداث الصراع المغولي مع بلاد كيلان –محور هذا البحث– فباستخدام المنهج الكمي نجد أن أكثر المعلومات التي نقلها العيني كانت عن اثنين من المؤرخين أولهما المؤرخ اليوسفي (ت.759هـ/1358م) صاحب كتاب" نزهة الناظر في دولتي المنصور والناصر"، وهو المصنف الذي كان يتكون من خمسة عشر مجلدًا كما ترجم له ابن حجر[1]، إلا أنه مما يؤسف له أن الأجزاء الأولى منه فقدت ولم يصل إلينا منه سوى أحداث لبضع سنوات من سنة 733هـ/1332م إلى حوادث سنة 738هـ/1337م؛ وبمقارنة بسيطة بين حوادث هذه السنوات وما يناظرها عند المؤرخ العيني في مخطوطه "عقد الجمان" أكد أحمد حطيط في مقدمة تحقيقه لمصنف اليوسفي أنه اعتمد كلية على هذا المؤرخ في النقل الحرفي بنسبة تتجاوز 80%[2]، ويبدو أن التفاصيل التي ذكرها اليوسفي في مجلداته الخمسة عشر انعكست على العيني الذي قام بنقلها حرفيًا في مصنفه، وخير دليل على ذلك أن العيني رجع له حوالي 155مرة من سنة 691هـ/1292م إلى سنة 712هـ/1312م، وهذا بالطبع بخلاف عدد مرات النقل الأخرى من سنة 712هـ/1312م إلى 741هـ/1340م وهي السنة التي توفي فيها الناصر محمد بن قلاوون؛ وفي كل مرة ينقل عنه يبدأ حديثه قائلًا: " وذكر في نزهة الناظر في دولتي المنصور والناصر"[3]، أو "قال

صاحب نزهة الناظر"[4] أو "قال صاحب النزهة"[5]، وأحيانًا لا يذكر اسم الكتاب مكتفيًا بقوله: " قال الراوي" والتي وردت حوالي اثنتين وخمسين مرة[6]، وإذا اعتبرنا أن هذا يعد شيئًا سلبيًا عند العيني لعدم إشارته صراحة لليوسفي في كثير من المواضع؛ إلا أن الجانب الإيجابي والذي نستطيع أن نثني فيه على الحافظ العيني أنه بهذا النقل الحرفي حفظ لنا كثيرًا من الأحداث الواردة من مجلدات اليوسفي المفقودة ومنها معلومات هذا البحث.

أما المصدر الثاني الذي نقل عنه العيني بكثرة أيضًا هو بيبرس الدوادار (ت.725هـ/1325م) المؤرخ المعاصر لأحداث هذه الفترة، والذي نقل عنه ما يقارب حوالي 110 مرة؛ مبتدئًا حديثه بقوله: "قال بيبرس في تاريخه"، والمقصود هنا هو مصنفه "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"، غير أنه بالرجوع إلى السنة التي حدث فيها الصراع بين المغول وملوك كيلان وهي سنة 707هـ/1307م نجد أنها خلت من أي إشارة عن كيلان وعلاقتهم مع المغول[7]، غير أنه وجدت بعض الإشارات المختصرة جدًا عن هذا الصراع عكس ما يوحي بذلك العيني في كتابه.

من بين الأحداث التفصيلية التي تفرد بها المؤرخ العيني في مصنفه، والتي نرجح أنه نقلها حرفيًا عن اليوسفي هو ذاك الصراع العسكري والمذهبي الذي وقع بين المغول ومملكة كيلان في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي في عهد خان المغول خدابنده (703هـ- 716هـ/1303م-1316م)[8]، حيث أفاض في الحديث عن أسبابه وأحداثه ونتائجه وعلاقة المماليك به، وماهية علاقة الشيوخ والفقهاء به. لذا سيحاول البحث الإجابة عن بعض التساؤلات من قبيل: ما مملكة كيلان أو جيلان كما يُطلق عليها أيضًا؟ ومن الشيخ براق؟ وما علاقته بخانات المغول؟ وما علاقته بسلطنة المماليك في مصر والشام؟ وما رؤية المؤرخ العيني لهذا الصراع مقارنة بالمصادر المملوكية الأخرى؟ وستكون الإجابة عنها طبقا لما ورد في المصادر الإسلامية من معلومات متفرقة، ووفقًا للمنهج الوصفي النقدي وتحليل مضامين هذه النصوص، وذلك من خلال عدة محاور:

أولًا: التعريف بمملكة كيلان.

ثانيًا: الشيخ براق العجمي ومذهبه الديني.

ثالثًا: الصراع بين المغول وكيلان (الأسباب- الأحداث- النتائج).

أولًا: التعريف بمملكة كيلان:

أوردت كتب الجغرافيين بعض المعلومات عن بلاد كيلان وذكروا أنها تُنطق إما كيلان أو جيلان، وهي بلاد حافلة بالمستنقعات ومنه اشتق اسمها (جيل) أو بلاد الجيل وهو الطين أو الوحل، وتعرف أيضًا البقاع الجبلية فيها باسم الديلم، وسكانها من الأكراد، ومن ينسب إليها يسمى جيلاني أو جيلي[9]، وتقع هذه البلاد إداريًا ضمن مملكة الإيرانيين، ويُطلق عليها أيضًا بلاد طبرستان، يحدها من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب عراق العجم وبخاصة مدينة الري، وجزء من مدينة أذربيجان، وبها أربع مدن كبار، لكل مدينة ملك مستقل بذاته[10]، كذلك بها الكثير من المساجد والمدارس الكبيرة، وبها الكثير من الزوايا والحمامات البديعة التي يتم تزويدها بمياه الأنهار، وبها العديد

من الحصون والقلاع التي يحتمون بها ضد أعدائهم، ويبلغ عدد جنودهم حوالي عشرين ألفًا من الجنود والفرسان، وكل ملك من ملوك هذه البلاد يتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي في الرقعة الجغرافية التي يحكمها من هذه البلاد؛ حتى إذا ما طرق بلادهم عدو خارجي اتحدوا فيما بينهم ضده، وصاروا على قلب رجل واحد، ومن هنا تكمن قوتهم؛ لذا لم يستطع هولاكو خان غزوهم من قبل، ولا قطلوشاه في عهد خدابنده كما سوف نعرض لذلك[11].

وصف أحد المؤرخين بلاد كيلان أنها " من أحصن البلاد وأطيبها، لا تستطاع، وهم أهل سنة، وأكثرهم حنابلة، لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم" [12]، وأن مساحتها كما ذكر التجار مسيرة سبعة أيام طولًا في عرض ثلاثة أيام، ويحيط بها البحر من جانب، والجبال من الجانب الآخر، ولها طريقان للدخول فقط، وهو ما جعلها تتمتع بالحصانة، وأراضيهم طينية خصبة يُزرع بها الأرز لأجل طعامهم، والتوت للقز الذي تقوم عليه صناعة الحرير، ولهذه البلاد علاقات طيبة مع دول الجوار؛ إلا أن أكثر الملوك كراهية لأهل كيلان هو صاحب بلاد مازندران المجاورة لهم وهم في حالة صراع دائم منذ القدم[13].

كان لهذا الموقع الاستراتيجي والموارد الاقتصادية التي تمتعت بها بلاد كيلان أن جعلت العديد من المؤرخين المعاصرين الذين وصلتهم المعلومات من أحد شهود العيان وهو الأمير فتح الدين بن صبرة المهمندار الذي كان أسيرًا عند المغول، حيث أكد أن أسباب الصراع المغولي الكيلاني في عهد خدابنده كان صراعًا إستراتيجيًا بسبب هذا الموقع، وهو ما جعل المغول يحاولون تأمين كافة الطرق العسكرية والتجارية المؤدية إلى دولتهم؛ بدليل أن خدابنده أمرهم عدة مرات أن يفتحوا طريقًا في بلادهم مرورًا إلى جيشه ومنها إلى خراسان لسرعة ورود الأخبار الصادرة والواردة، فرفضوا ذلك لوقوع الضرر عليهم منه؛ فأرسل إليهم ستين ألفًا من الجنود؛ أربعين بقيادة نائبه قطلوشاه، وعشرين بقيادة جوبان[14]، وعلى اتفاق أغلب المؤرخين هنا يبدو أن الصراع في ظاهره هو صراع إستراتيجي لتأمين الدولة المغولية؛ إلا أن الشرارة الحقيقية لهذا الصراع كانت دينية مذهبية كما تفرد بها المؤرخ العيني، ولعب فيها أحد شيوخ المغول دورًا محوريًا، وهو الشيخ براق بمذهبه المخالف لمذهب أهل كيلان، وهو ما أدى إلى إعدامه في بلاد كيلان في نهاية هذا الصراع، وهذا ينقلنا للعنصر التالي للحديث عن هذا الشيخ وطائفته.

ثانيا: الشيخ براق العجمي ومذهبه الديني:

يعد الشيخ براق أحد الشيوخ المقربين من خانات المغول، ويقال له براق العجمي أو براق القرمي أو براق الرومي، وأصله من الجنس الرومي من بلدة دوقات أو توقات، وكان أبوه من أرباب الإمرة والولاية، وكان عمه أيضًا من الكتاب المعروفين والمشهور لهم بالكفاءة، وتتلمذ الشيخ براق على يد الشيخ سرتق القرمي، وهو الذي أطلق عليه اسم "براق" وهي بلغة القبجاق بمعنى كلب، ولم تكن أفكار براق هي نفس أفكار شيخه سرتق، ولم يفعل شيئًا من أفعاله[15].

كانت للشيخ براق صحبة من الفقراء الجبابرة، فتميزوا بالشجاعة والكرم وقوة النفس، ولهم هيبة في النفوس، وصلت أعدادهم إلى حوالي مائة أو مائتين، لهم هيئة مميزة ومختلفة عما عُرف عند أهل السُّنة والجماعة؛ حيث كانوا يحلقون لحاهم ويتركون شواربهم بكثافة، وكل واحد منهم به كسر في أسنانه الأمامية، ويرتدون قرونًا لبابية على رؤوسهم كقرون البقر والجاموس، وبأعناقهم أجراس وسلاسل من حديد وكعاب وصولجانات من الخشب[16]، وقد أكد أحد المؤرخين رؤية أحدهم على هذه الهيئة العجيبة واصفًا إياهم: "وعلى الجملة كانت أشكالهم عجيبة" على حد قوله[17].

يبدو أن الهيئة العجيبة للشيخ براق وأنصاره، وما اشتهروا به من الأفعال الغريبة جذبت أنظار غازان خان ملك المغول (ت.703هـ/1303م) في ذلك الوقت، فأحضرهم إلى مجلسه، لتبدأ المصادر في صنع هالة أسطورية حول هذا الشيخ فنسبت له بعض الأمور الخارقة منها أن غازان خان سلط عليه أحد السباع–الأسود– فزجره براق وصاح فيه فانهزم السبع ثم ركب على ظهره، فافتتن به غازان منذ ذلك الوقت، وصارت منزلته من المقربين إليه، ومن أرباب الكرامات، وأغدق عليه أموالًا طائلة إلا أن براق كان زاهدًا بها وقام بتوزيعها على أنصاره وعلى عوام الناس، وظلت منزلته مرتفعة في بلاط المغول وكلمته مسموعة عند غازان خان ومن بعده أخيه غياث الدين محمد خدابنده أو كما يطلق عليه أيضًا خربنداه[18].

يبدو أن ظاهرة خضوع الأسود والنمور للشيوخ لبيان كراماتهم هي وليدة العصور الإسلامية، ولم تكن خاصة بشيخ المغول براق فقط، بل تداول أهل كيلان قصة شبيهة بأحد شيوخهم تتعلق بالشيخ نور الدين محمد الذي دخل أحد الخانات خلال سفره مع أصحابه وحذره المسافرون أن به أحد الأسود المتوحشة، إلا أن هذا الأسد استأنس بالشيخ، بل وطلب منه الشيخ بعد أن مسح على رأسه أن يفارق الخان ولا يعود إليه ولا يفزع المسافرين فاستجاب له الأسد وخرج ولم يعد[19]، ومثل هذه القصص ترسم هالة أسطورية حول هذه الشخصيات، وتظل متداولة في السرد القصصي مثل حالة الشيخ براق.

الجدير بالذكر أن الشيخ براق بلغ نفوذه حدًا جعله يتخذ لنفسه الأعوان من أتباعه؛ بحيث كان بمثابة دولة متحركة يهيمن عليها؛ فاتخذ لنفسه نائبًا وقاضيًا ووزيرًا وحاجبًا ومحتسبًا ومجموعة من السلحدارية[20] والطبلخاناة[21]، وكان يتم استقباله استقبالًا دبلوماسيًا حيثما مر ببلدة ما، أما عن مذهبهم الديني فقد وصفت المصادر الشيخ براق " بالشيخ الفقيه كبير الطائفة المنسوبين إليه"، والتي تسمى "الطائفة البراقية"، ومن الأمور الغريبة لهذه الطائفة الدينية أنهم ملازمون للعبادة والصلاة ولا يقطعون الصلاة، ومن ترك منهم صلاة ما قام المحتسب التابع للشيخ براق بضربه عشرين عصًا أسفل قدمه أو بجلده أربعين جلدة، ولهم ذكر بين العشائين، كما ذمتهم بعض المصادر أيضًا فوصفتهم بأنهم يأكلون الحرام، وأغلبهم لا يصومون شهر رمضان، وقد أثر عن الشيخ براق قوله إنما سلك هو أتباعه هذه الهيئة وتلك الأفعال ليكون " مسخرة الفقراء"؛ موضحًا أن الناس لها بالظاهر وله الباطن والله أعلم بالسرائر على حد قوله[22].

ويبدو واضحًا أن رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الطائفة كان سببًا في كراهية الناس لهم وبغضهم لمذهبهم؛ فقد صرح ابن تيمية بأن هؤلاء القلندرية حليقي اللحى وتاركي الشوارب من أهل الضلالة والجهالة، وأكثرهم كافرون بالله ورسوله، لا يرون وجوب الصلاة والصيام، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى، وهم ليسوا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، وقد يكون فيهم من هو مسلم، لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر، وأصلهم يعود إلى الفرس المجوس[23]، هذا الوصف الذي وصفهم به ابن تيمية انعكس على البلدان التي شاعت فيها آراؤه حيث كانوا كارهين لهذه الطائفة المختلفة عن أهل السنة والجماعة شكلًا ومضمونًا.

لا تخبرنا المصادر المملوكية عن سبب قدوم هذه الطائفة الغريبة إلى بلاد الشام في عام 706هـ/1306م ولا عن أهدافها، وهل كان سبب زيارتهم للدولة المملوكية هو الترويج لمذهبهم؟ وهنا يأتي المؤرخ العيني متفردًا ليخبرنا أن الشيخ براق ذهب إلى الشام برسالة من خدابنده إلي السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، فخرج بعد أن أعطى خدابنده أوامره لنوابه على الطرق بخدمته وطائفته، فوصل من ناحية بلاد الروم إلى بلاد سيس[24] مستقر الأرمن، فالتقاه صاحبها وأكرم ضيافته، وزوده بكل ما يحتاج إليه، وكفل له الحماية الكاملة على الطرق داخل مملكته إلى در بساك[25] وهي حدود الدولة المملوكية، ثم دخل مدينة حلب وكان بها الأمير شمس الدين قراسنقر نائب السلطنة فأكرم وفادته، وسأله عن سبب مجيئه للدولة المملوكية، فأخبره أنه جاء للصلح بين الملك الناصر محمد والسلطان خدابنده، وطلب منه ألا يخبر أحدًا بذلك إلا السلطان الناصر فقط، وفي الحال أرسل قراسنقر أحد البريدية إلى قلعة الجبل بالقاهرة ليخبر الناصر بذلك، وعاد البريدي بالجواب بتجهيز براق للسفر إلى مدينة دمشق، وجعل الأمير قراسنقر مجموعة من الأشخاص في خدمته إلى أن وصل إلى دمشق في جمادى الأولى سنة 706هـ/1306م[26].

ذاعت شهرة الشيخ براق وطائفته في مدينة دمشق، وانتشر بين العوام والأمراء أمر هذا الشيخ الذي أتى من بلاد المغول بعد أن امتطى ظهر أحد الأسود أمام خان المغول، وكان الأمير الأفرم نائب دمشق آنذاك جالسًا في شرفة القصر الأبلق المطل على الميدان وحوله أمراء دمشق الكبار، ويبدو أن شهرة براق في ترويض السباع جعلت الأفرم يختبره بأن سلط عليه نعامة ضخمة وشرسة كانوا يربونها منذ أربع سنوات ولا يستطيع أحد ترويضها أو مقاومتها[27]، فلما اقتربت منه ركبها وطارت به في الميدان حوالي خمسين ذراعًا إلى أن اقترب براق من الأفرم فقال له: أتحب أن أطير بها إلى فوق شيء آخر، فرفض الأفرم، وأحسن إليه، وخصص له الرواتب، وأعطاه من خزانته الخاصة ألفي درهم فلم يقبلها، وأخذها أتباعه.[28]

تفرد المؤرخ العيني دونًا عن المصادر المملوكية بذكر رواية أخرى عن حادثة النعامة مع الشيخ براق، حيث ذكر أنه بمجرد أن رأته النعامة هجمت عليه، وقبضت بفمها على رقبته حتى كادت أن تقصفها، وقذفته تحتها وبركت فوقه، ولو لم يدركه الرجال لمات، وتعجب الناس من أمره، وعلم براق أن ذلك كان مكيدة له فأسرها في نفسه، ولما

وقف بين يدي الأفرم قام بتحيته وتحية جميع الأمراء المحيطين به، وبدأ الأمراء يسخرون منه ويسألونه نعلم أنك تركب الأسود في خراسان أما في الشام فلا تستطيع أن تركب طيرًا من طيور الشام حتى كادت النعامة أن تقضي عليك، ثم بدأ يسخر أيضًا من هيئته من حلق الذقن وترك الشارب ويسأله هل هذا دين جديد تتبعه؟ فأجابه إنما هو رجل من فقراء المسلمين، فأنكر عليه الأمراء أنه يتبع الإسلام لقول النبي في حديثه: "قصوا الشوارب وأعفوا اللحى"، وأنه خالف سنة النبي وأنه لولا حرمة السلطان الناصر محمد لقام بضرب عنقه، ثم طلب مقصًا وقام بقص شاربه، ثم أنزله في مكان إقامتهم بالمنيبع على أطراف مدينة دمشق، وخصص لهم في كل يوم خمسة رؤوس غنم وقنطار خبز وعشرين رطل حلاوة سكرية وعشرة أطباق فاكهة، ثم أرسل البريدي إلى القاهرة ليخبر بأمره، فرجع البريدي بالموافقة على تجهيزه للسفر إلى مصر، فجهزه الأمير الأفرم نائب السلطنة ورتب له منازل إقامته على سائر الطريق إلى نيابة غزة، وحينما وصل إلى غزة كان مرسوم الناصر هو ترتيب إقامتهم بغزة لحين السماح لهم بدخول مصر، ويبدو أن الناصر تخوف من دخول براق وطائفته إلى مصر فاستشار كبار الأمراء في ذلك، فاستقر رأيهم على عدم السماح له بدخول مصر؛ خوفًا من أن يكون في ذلك خطر على حياة السلطان؛ لذا أرسل الناصر إلى براق أحد المماليك، وطلب منه أن يكتب رسالته الشفهية ويبعثها مع هذا المملوك، ثم تم تجهيزه للسفر إلى دمشق حيث جهزه نائبها الأفرم ليعود هو وطائفته إلى بلاد المغول وإلى خدابنده[29].

رغم تفرد العيني بهذه الرواية إلا أن معلوماته كانت مناقضة لأغلب المصادر المعاصرة التي أجمعت على أن براق سيطر على النعامة، وركب عليها وطارت به خمسين ذراعًا في الميدان، ولم تبرك عليه أو كادت تدك عنقه كما ذكر العيني، ورواية المؤرخين المعاصرين للحدث هي الأقرب إلى الصحة من رواية العيني، ومن المرجح أن الحافظ العيني وهو من كبار المحدثين والمؤرخين أراد السخرية من هيئة هذا الشيخ وطائفته باعتبارها مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وأنها من أرباب البدع في الإسلام، كذلك ذكرت المصادر أن هذه الطائفة من معتقداتها أنهم لا يصومون رمضان على حد قول ابن تيمية، إلا أن المصادر تخبرنا أن براق وحاشيته حينما وصلوا دمشق صلوا صلاة الجمعة برواق الحنابلة، ثم قاموا بزيارة القدس الشريف، وظلوا إلى نهاية شهر رمضان حيث صاموه، ثم عادوا من حيث أتوا "إذ لم يجدوا بدمشق قبولًا ولا منزلًا ومقيلًا"[30]، وهذا مخالف لما وصفهم به ابن تيمية من عدم صومهم.

كذلك نلاحظ في رواية العيني أنه اختلق سببًا في عدم مقابلة الناصر محمد لهم وهو خوفه من قيامهم باغتياله، وهو أمر بعيد عن المنطق، فكيف لهذا العدد القليل أن يخطط لاغتيال الناصر وسط حراسه وأمرائه، والمرجح أن السبب الرئيس لعدم مقابلته لهم هو عدم لفت انتباه العوام والفقهاء داخل الدولة المملوكية لهذه الطائفة الغريبة في هيأتها من حلق اللحية وترك الشوارب، وهو ما قد يفتح الباب أمام افتتان العوام بهم ويسعون لتقليدهم مما يحدث شقاقًا داخل المجتمع المملوكي، ويؤلب الفقهاء على السلطان، فأراد الناصر محمد عودتهم سريعًا إلى ديارهم، وعدم بقائهم في الدولة المملوكية لفترة طويلة.

على أية حال ظلت القصص والأساطير تلاحق طائفة الشيخ براق زمنًا طويلًا، نظرًا لهيئتهم وطبيعة مذهبهم، فنظم الشعراء فيهم أشعارًا كثيرة مثل القصيدة المطولة التي نظمها سراج الدين المحّار في الشيخ براق وأعوانه[31]، إلا أن أفكار هذا الشيخ كانت سببًا في اندلا ع الصراع بين المغول وبلاد كيلان كما سنذكر في العنصر التالي.

ثالثًا: الصراع بين المغول وكيلان (الأسباب– الأحداث– النتائج):

هكذا كان مذهب الشيخ براق مخالفًا لمذهب أهل السنة والجماعة شكلًا ومضمونًا وفقًا لما ورد في المصادر المملوكية؛ لذلك حينما تعرضت هذه المصادر للصراع المغولي مع بلاد كيلان كان طبيعيًا أن تؤازر هذه المصادر أهل كيلان لكونهم على المذهب الحنبلي؛ لذلك اختزلت أسباب هذا الصراع وشرارته في الاختلاف المذهبي بين المغول وأهل كيلان، هذا الاختلاف الذي كان فيه الشيخ براق سببًا رئيسًا وشرارة بداية هذه الحرب العسكرية؛ حيث اتهم خدابنده أهل مملكة كيلان بأن مذهبهم الديني مخالف لمذهب المسلمين، ولكي يتأكد من صحة مذهبهم عزم على إجراء مناظرة فقهية بين فقهاء مدينة تبريز التابعة للمغول وفقهاء مملكة كيلان، وإذا ثبت فساد مذهب بلاد كيلان سيضرب أعناق فقهائهم، وبالفعل أرسل سفيرًا من قبله برسالة إلى ملوك كيلان، وكان عددهم سبعة عشر ملكًا، ورئيسهم يدعى نوبرشاه يطلب فيها عقد المناظرة العلمية التي قررها بين فقهاء البلدين، وتعجب نوبرشاه من كيفية حكم خدابنده على مملكة كيلان بفساد مذهبهم، فأخبرهم السفير أن الذي أخبر خان المغول بذلك هو الشيخ براق، وأن كلمته مسموعة لدى خانات المغول منذ غازان خان إلى عهد خدابنده كما سبق أن ذكرنا، وتأكد لدى خدابنده بناء على معلومات الشيخ براق أن أهل كيلان يتبعون مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وهو المذهب الذي ينكره عوام المسلمين من وجهة نظره، واتهم أهل كيلان بأنهم "مجسمون وأن مذهبكم بطال، وما أنتم على شيء من الدين" [32]، كما اتهمهم أيضًا بسب أصحاب المذهب الأشعري، وسب أبي حنيفة النعمان[33].

اتفق فقهاء مملكة كيلان على تجاهل طلب خدابنده بعقد المناظرة الفقهية، وعدم الذهاب إلى تبريز خوفًا من اغتيالهم؛ لعلمهم سابقًا بسياسة الغدر عند المغول وأنهم قوم لا يوفون بالعهود ولا يحفظون عهدًا أبرموه و" يهينون الملوك ولا يرعون حقوقهم و يكلفونهم بما لا تطيقه نفوسهم ومتي أعطوا الأمان لأحد قتلوه شر قتلة "[34]، وقرروا كتابة مبادئ مذهبهم الديني في رسالة وإرسالها إلى خدابنده مقرين له بأنهم لا يتبعون أي منهج آخر، وأنهم غير مجسمين، بل إن المجسمين في معتقد أهل كيلان لا توبة لهم وعقوبتهم القتل، كما رفض فقهاء كيلان الحضور إلى مدينة تبريز، وأقروا بأنهم يتكسبون أموالهم من أعمالهم، وليست لهم رواتب من الدولة، على عكس فقهاء المغول الذين يأخذون رواتبهم من المظالم والمكوس؛ لذا فالمناظرة معهم غير عادلة، وأن حكمهم سيكون غير عادل على الإطلاق، وأقروا أن عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة.[35]

عاد السفير بالرد إلى خدابنده، فاستشاط غضبًا وأصر على حضورهم، فأرسل سفيرًا آخر إلى نوبرشاه الذي رفض بشدة خروج الفقهاء من ديارهم، وأخذ يتهدد المغول بأنهم لا يعرفون شيئًا عن أمور الدين، وأن الهدف الرئيس

هو غزو بلاد كيلان، فحذره سفير خدابنده من أن عصيان أوامر خدابنده سوف يجعله يزحف بجيشه لغزو كيلان وتخريبها وسفك دماء أهلها، إلا أن نوبرشاه لم يعبأ بتهديده قائلًا: "افعلوا ما شئتم"[36]، ويبدو واضحًا أن ملوك كيلان كانوا مدركين أن الاختلاف المذهبي مجرد ذريعة من خدابنده لغزو بلادهم والسيطرة عليها وتأمين موقعهم الإستراتيجي.

استشاط خدابنده غضبًا، وعزم على غزو كيلان، وأمر نائبه قطلوشاه أو خطلوشاه أو قطليجا[37] –الذي كان أشد كراهية لأهل كيلان– بتجهيز الجيش والأمراء للزحف، إلا أن وزيره رشيد الدولة حذره من العواقب الوخيمة لهذا الغزو، ناصحًا له بأن هذا الأمر لم يفعله أحد من خانات المغول من قبل، وأنه سيؤدي إلى خراب البلاد وضعف الجيش وخلق عدو للمغول داخل مملكة المغول نفسها، وعرض عليه إحضار ملوك كيلان إليه طائعين، إلا أن خدابنده أخذته العزة بالإثم وأصر على غزو بلاد كيلان، وبدأ في زحفه مع عساكره وأمراء التوامين،[38] أو كما يعرفون بالنوين أو الذين يشرفون على عشرة آلاف مقاتل بالجيش المغولي، وهم أعلى رتب الجيش المغولي[39].

بدأ المغول زحفهم بقيادة خدابنده وكان عددهم نحو 70 ألف مقاتل، وطلب من قائده جوبان أيضًا أن يتحرك صوب كيلان وأمره بأن " يضع فيهم السيف ولا يرفعه عنهم حتى يفنيهم"، وأخذ نائب الخان قطلوشاه يحقر من شأن أهل كيلان ويستهزئ بهم بأنهم عجم أوباش ولا يوجد لديهم جيش، وطلب من خدابنده أن يعود إلى عاصمة ملكه على أن يتولى هو أمر هذه الحملة العسكرية، ووعده بتخريب ديارهم وقتل رجالهم وسبي نسائهم وأولادهم؛ فحذره خدابنده من مصير أخيه غازان في معركة مرج الصفر التي هزموا فيها على يد المماليك سنة702هـ/1302م، إلا أن قطلوشاه أصر على طلبه وبالفعل عاد خدابنده إلى عاصمته، وزحف قطلوشاه بالجيش صوب بلاد كيلان.[40]

وصلت الأخبار إلى ملوك كيلان بزحف المغول في حشود ضخمة لغزو بلادهم، وكانت بلادهم تتميز بكثرة الجبال والأودية الوعرة والتي تجعل غزوها ذا مشقة كبيرة على المغول؛ لذا قام أهلها بتحصين مداخلها، واجتمع أكابر ملوك كيلان، وكان أبرزهم ثلاثة ملوك هم: نوبرشاه، وزكايون، ودوباج (ت.714هـ/1314م)[41] وتشاوروا فيما بينهم واتفقوا على إرسال جواسيس لرصد تحركات قوات المغول في الطريق، كما اتفقوا على إرسال الرسل إليهم طلبًا للصلح؛ لأنه لا طاقة لأهل كيلان بحرب المغول، وبالفعل عاد الجواسيس بعد عدة أيام بأخبار حشود المغول التي لا تقهر فأصابهم الفزع والخوف، إلا أن الملك دوباج طمأنهم بأنه تربطه صداقة كبيرة مع قطلوشاه قائد جيش المغول، واقترح أن يرسل ابنه بهدية ثمينة ويترجاه أن يرجع بعسكره إلى بلاده، وأن يأخذ من الأموال ما يريده ويقرره، وبالفعل تم تجهيز الابن ومعه عشرة من أكابر كيلان، وذهبوا لمقابلة قطلوشاه وقاموا بتقبيل الأرض بين يديه، ودعوا له وللخان خدابنده، وأعطوه الهدية الثمينة، وطلب الابن منه بحكم صداقته بأبيه دوباج أن يقبل الصلح رأفة بأهل كيلان المساكين، وطلب الأمان للنساء والأطفال والشيوخ، وأقروا أنهم على استعداد لدفع أية أموال ستقرر عليهم، وأنهم تحت طاعته، فاستخف قطلوشاه به وسخر منه وأمر بضرب رأس الابن، وعلق الرأس في رقبة أحد العشرة الكبار،

وأمرهم بالمغادرة في الحال إلى ديارهم، وطلب منهم أن يحضر جميع سكان كيلان بأولادهم ونسائهم وملوكهم بين يدي خدابنده؛ ليقتل منهم ما يشاء، ويعفوا عمن يشاء، فخرجوا مسرعين غير مصدقين نجاتهم من هذا السفاح.[42]

وصل الوفد إلى كيلان وقصوا ما حدث لدوباج الذي ما إن رأى رأس ابنه حتى تملكه الغضب، وحزن على ابنه حزنًا شديدًا، ولام نفسه على إرساله، ثم أقسم بالله وبنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– بأنه سينتقم منهم انتقامًا " يتحدث به الركبان في كل زمان ومكان".[43]

أصاب الرعب ملوك كيلان مما حدث، ووهنت عزائمهم وتشاوروا فيما بينهم، وأقروا بعدم قدرتهم على مواجهة هذا الزحف المغولي الذي لم يستطع هزيمته سلطان الدولة المملوكية في مصر والشام، واتفقوا على خضوعهم لقطلوشاه وعلى رأسهم دوبرشاه، إلا اثنين منهم عارضا ذلك بشدة وهما دوباج وزكايون قائلين: "لا سمع ولا طاعة"، وخطبا في جموع أهل كيلان خطابًا حماسيًا، مستنكرين عبور المغول لبلادهم لأول مرة، وأن عليهم مقاومتهم، وبالفعل تأثر أهل كيلان بكلامهم فانحاز إليهم الفقهاء والعلماء والرجال الشجعان ومن في قلبه نخوة وغيرة على الإسلام.[44]

تسلل نوبرشاه والتيار المتخاذل ليلًا ودخلوا في طاعة قطلوشاه تاركين دوباج وزكايون بمفردهما لمصيرهما المحتوم، فتحسرا على هذا الموقف المتخاذل وأيقنا بضياع بلاد كيلان في قبضة المغول، وأخذ الأهالي في مغادرة ديارهم إلى ربوع الجبال ليتحصنوا بها، وذهب دوباج وزكايون ومن معه من الفقهاء والمرابطين إلى جوار البحر حيث كانت سفنهم موجودة والتي وصل عددها إلى مائة مركب، وتشاوروا فيما بينهم، واستقروا على ركوب النساء والأطفال والأموال في المراكب، وفي حال ما دخل المغول البلاد تحركوا بالسفن نجاة بأنفسهم.[45]

وكان لدوباج أخ مقاتل وأكثر شجاعة في المعارك الحربية يسمى جوان شير، وكان غائبًا في قتال بلاد الكرج، فعاد هذا الأخ في هذا الوقت وبصحبته جنوده المقاتلون، فقص عليه دوباج ما حدث من الفظائع التي ارتكبها قطلوشاه في حق ابن أخيه، فاستشاط غضبًا، واستنكر على أخيه أن يهرب ومن معه في المراكب، ليبث في قلوب أهل كيلان المقاتلين روحًا جديدة من الحماسة، وأخذ يحث مقاتليه بضرورة الانتقام من المغول الكفار، وأوكل إلى كبير قادته ويدعى *توكل* مهمة استكشاف خط سير قطلوشاه حتى إذا ما اقتربوا من البلدة قاموا بتنفيذ خطتهم العسكرية.[46]

ذاع خبر وصول جوان شير أخي دوباخ إلى البلاد المجاورة لكيلان، فزادت حماستهم وتحالفوا معه لسابق معرفتهم بأن المغول متى ما نهبوا بلاد كيلان انتقلوا لاستباحة البلاد المجاورة لهم؛ لذا تجمعوا تحت قيادة قائد يسمى أمير حاج بن ناجي، واستقروا على مناصرة أهل كيلان وقادتهم ضد المغول.[47]

تجمع هذا الحلف لمواجهة المغول، وتشاوروا فيما بينهم لمواجهة هذا العدو، فاقترح جوان شير أن يأخذ أمير حاج جنوده ليترصد أخبار المغول بقيادة قطلوشاه، حتى إذا ما اقتربت من مدخل بلاد كيلان أخبر جوان شير بذلك لكي يلتف من خلفهم ويكسر قواته من الخلف، واتفقوا على ذلك بعد أن تعاهدوا على القتال ضد المغول حتى الموت.[48]

وصلت الأخبار من توكل أيضًا إلى جوان شير بأن طليعة جيش المغول بدأت في الاقتراب من بلاد كيلان، وأنهم في أعداد غفيرة، فاقترح جوان شير خطة عسكرية بأن تقوم قواته مع قوات قائد الكشافة توكل بالاشتباك مع المغول أواخر النهار، ثم يقوموا بعمل انسحاب تكتيكي ليظهر لدى المغول أنهم قد انهزموا، وبالتالي لن يستطيعوا تتبعهم لسببين: أولهما أن ظلام الليل قد حل بالمغول، ولن يستطيعوا السير في بلد جغرافيتها مبهمة بالنسبة لهم؛ وثانيهما هو استخفاف المغول بجنود كيلان والتقليل من شأنهم، وفي الوقت الذي تأمن فيه قوات المغول، وتبدأ في الانتشار للبحث عن الغنائم، يقوم جوان شير بالقضاء عليهم، واستحسنوا هذه الخطة العسكرية واستعدوا لها.[49]

اشتبك جنود كيلان بالفعل مع جحافل الجيش المغولي متحصنين بالوازع الديني وغيرتهم على الإسلام، غير أن سهام المغول رشقتهم كالمطر حتى اختلط الحابل بالنابل، وكان قائد فيلق المغول شخصًا يدعى دمندار، وأحس بخطورة موقفه فصرخ في جنوده بالثبات في الحرب، ثم وصلت إمدادات أخرى للمغول بقيادة نوين رمضان، فازدادت قوة المغول، وبدأ جنود كيلان في التراجع، إلا أن توكل خطب فيهم مشجعًا إياهم بعدم التراجع والثبات في قتال المغول، فاستماتوا في القتال حتى تراجع المغول أمام ثبات جنود كيلان.[50]

كانت خسائر جنود كيلان بقيادة توكل كبيرة حيث قتل معظم جنوده، فأرسل إلى جوان شير بطلب النجدة على الفور وإلا سيُقتلوا عن آخرهم؛ وبالفعل أخذ جوان شير قواته ولحق بتوكل، ولما رأى خسائره حزن لذلك وأيقن بضعف موقفهم، إلا أنه كتم ذلك في نفسه، وأخذ في تشجيع الجنود، وبدأت مقدمة المغول في الظهور بقيادة قطلوشاه، وعلت أصوات طبول الحرب وظهرت راياتهم المرفوعة، وأخذ قطلوشاه يوبخ جنوده، ويسخر من قواته لعدم استطاعتهم القضاء على أهل كيلان بسرعة، غير أن جنود المغول أخبروا قطلوشاه أن أهل كيلان يقاتلونهم بشراسة أكبر من يوم مرج الصفر مع المماليك بقيادة الناصر محمد بن قلاوون، وبالفعل اشتبك الطرفان وظهرت شجاعة جوان شير في قتال المغول، وطالب جنوده بالاستماتة في القتال حتى لا تصبح نساؤهم وأطفالهم سبايا، كما طالبهم بالثأر من قطلوشاه لقتله ابن دوباج وقطع رأسه، وثبت جنود كيلان بالفعل إلا أن أعداد المغول الغفيرة كانت لها الغلبة، وبدأ جنود كيلان بقيادة جوان شير بإظهار الانسحاب المنظم بغرض إعادة تنظيم الصفوف تمهيدًا لتنفيذ خطته التي رسمها حينما يحل الظلام، وفرح قطلوشاه بفرارهم إلى رؤوس الجبال دون أن يفطن إلى خديعة جوان شير[51].

كانت خطة جوان شير أن يترك أهل بلاد كيلان أموالهم وأولادهم والأبقار والأغنام ويتحصنوا في رؤوس الجبال، وأراد قطلوشاه أن يدخل البلاد ويستولي على ما فيها من الغنائم وفطن بالفعل إلى عدم هروب الأهالي من البلدة، وشك أن يكون في الأمر خدعة حربية ينشغل فيها الجنود بالغنائم ثم ينقض جنود كيلان عليهم، إلا أن قائد جيشه دمندار سخر من أن يكون لدى قادة كيلان العسكريين هذا الفكر العسكري، وطمأنه بأنهم نجوا بأرواحهم تاركين وراءهم أموالهم وأولادهم، وعليه بدأ المغول في الانتشار بين التلال والأودية للاستيلاء على الغنائم والأموال التي كانت لا تحصى ولا تعد، ونجحت الخطة ولم يبق مع قطلوشاه من الجنود إلا عدد قليل من المغول.[52]

أصاب القلق أمير حاج بن ناجي حليف جوان شير بفرارهم أمام المغول، إلا أنه طمأنه أن هذا الانسحاب تكتيكي، وأنه جهز مكيدة للمغول وطالبه بحفظ الطرق المؤدية لكيلان، وقام جوان شير بتجهيز 2500 من الفرسان وحشود من المشاة حتى وصل عددهم ما يزيد على ثلاثين ألف مقاتل، وأرسل الكشافة لتتبع خط سير قطلوشاه، وطالبهم بأنه متى ما وصل المغول إلى منطقة مرج الجاموس[53] أخبروه على الفور، وبالفعل حالما وصل المغول إلى الموقع المحدد أخبروا جوان شير بذلك، وأخبرهم أنه سيهاجم المغول ليلًا وبالفعل سار بجنوده ليلًا وسط الجبال الوعرة والغابات، وهي طرق يصعب لأي شخص أن يسلكها إلا أهالي كيلان فقط، وحالما اقترب من معسكر قطلوشاه طلب من جنوده أن يستريحوا وأن يستعدوا للهجوم عليهم وقت السحر فيباغتوهم، وخرج جوان شير يتفقد أخبار المغول ويستطلع نقاط قوتهم فوجد أن عددهم حوالي 30 ألف مقاتل، والبقية تفرقت لأخذ غنائم البلدة، وبينما هو في أتم استعداده للمعركة الحاسمة سمع أصوات صهيل الخيول وصيحات كثيرة، فظن جوان شير أن المغول دبروا لهم مكيدة، وأيقن بالهلاك، إلا أنه سمع لغة الجنود وكانت مثل لغة أهل كيلان، فتبين له أنهم من حلفائه، واستبشر حينما عرف أنهم في صفه وجاؤوا لنصرته ضد المغول، وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل، وسار الجميع من وقتهم، وبدأ القتال ضد قطلوشاه والذي فوجئ من هذا التكتيك، وبدأ الخوف يتسلل إليه، وصرخ في جنوده، وبدأ قادة المغول يطمئنون قائدهم، ويسخرون من جنود كيلان بأنها ما هي إلا ساعة حرب فقط ويفنوهم عن آخرهم، غير أن الرياح أتت بما لا تشتهي سفن المغول إذ حاصرت الأعداد القليلة من جنود كيلان الحشود الضخمة من المغول، وهجم جوان شير على قطلوشاه وضربة ضربة قطعت أذنه وجرحت جزءًا من وجهه، وحاول استمالة جوان شير بالمال مقابل أن يتركه إلا أنه وقع في الأسر هو وقائده الآخر دمندار، وقام دوباج بتتبع ابن قطلوشاه وقام بقتله فثأر بذلك لمقتل ابنه، وقتل من المغول في تلك المعركة أعدادًا لا تحصى، وتم أسر الكثير منهم[54].

عاد أهل كيلان بالأسرى وغنائم المغول إلى بلادهم، وجاء وقت الحساب والثأر من قطلوشاه، وكان دوباج ما زال يبكي كلما تذكر قطع رأس ابنه على يد قطلوشاه، فطلب منه جنوده أن يفعل بهم ما يشاء وقد وقعوا في قبضة يده، فأرسل في طلب مجموعة من اليهود الحلاقين بالبلدة وأمرهم بقطع أيدي وأنف وأذن سبعين أميرًا من كبار أمراء المغول وقائدهم قطلوشاه، ثم أركبهم على الحمير وطافوا بهم في بلادهم وقام بتجريسهم، ثم أمر أن تُنصب لهم الخوازيق، وأخذ قطلوشاه ينتحب حين علم مصيره وأراد أن يفدي نفسه بأي طلب يريده دوباج، إلا أن دوباج وبخه وسبه على فعلته الشنيعة في حق ابنه، وكانت آخر صيحة له استغاثته بخدابنده ثم أجلسوه على الخازوق[55] وتم إعدامه، فوصلت أعداد المغول الذين تم إعدامهم حوالي أربعين ألف مقاتل بالإضافة إلى كبار أمرائهم الذين كانوا حوالي سبعين أميرًا[56].

هربت فلول المغول المنهزمة عائدة بأخبار الهزيمة المذلة إلى خان المغول خدابنده، فلما قابلوه رموا بأنفسهم على الأرض ينتحبون ويصرخون ويضعون التراب على رؤوسهم من هول ما تعرضوا له، وأخذوا يقصون على خان المغول ما حدث وأنهم هربوا من المعركة ولم يعلموا مصير قطلوشاه، وأخبروه أنه ربما وقع في الأسر، فاستشاط خدابنده

غضبًا وأرسل كشافته لاستطلاع الأخبار، وبالفعل عادت وأخبرته بالهزيمة المذلة، وبوقوع قطلوشاه في أسر أهل كيلان، وفي ذلك الوقت كان الشيخ براق حاضرًا في بلاط خدابنده في تبريز، وكان صديقًا مقربًا من قطلوشاه، فاقترح على خدابنده أن يسافر إلى بلاد كيلان ويفتدي قطلوشاه ومن معه من الأسر ظنًا منه أنهم مازالوا أحياء، فوافق خدابنده وسافر بالفعل إلى بلاد كيلان، وكان ذلك من أسوأ الأمور؛ لأن براق كان هو رأس الفتنة، والسبب الرئيس في حدوث هذا الصراع المغولي الكيلاني[57].

انقطع خدابنده عن الظهور واحتجب في قصره سبعة أيام، فخاف البلاط أن يطمع أعداء المغول في المملكة، فأرسلوا إلى القائد جوبان نائب البوسعيد، وأخبروه أن الملوك لابد أن يظهروا قوتهم في وقت الضعف، وأن ما يفعله خدابنده هو إظهار ضعفه لخصومه، وأن عليه أن ينصحه وبالفعل قابله جوبان وطلب منه ألا يحتجب في قصره حتى لا يصبح المغول فريسة للمماليك بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأخذ جوبان يحمسه كي يخرج من حالة اليأس التي لازمته بعد هزيمة جيشه وتدميره ووقوع كبار أمرائه وقائده المقرب في الأسر، وما زال به حتى خرج لحاشيته وطلب الخروج في رحلة صيد للخروج من هذه الحالة النفسية[58].

وقع الشيخ براق في خطأ فادح حينما ذهب إلى بلاد كيلان ومقابلة دوباج المكلوم بمقتل ابنه على يد قطلوشاه، خاصة وأن دوباج كان يعلم بأن براق هو المحرض الأول على دخول المغول إلى بلادهم؛ لذا بمجرد أن قابله سأله عن سبب مجيئه، فكان الجواب الخاطئ في المكان غير المناسب والوقت غير المناسب، حيث أخبره أن خدابنده أرسله ناصحًا لأهل كيلان بأن يطلق سراح قطلوشاه ومن معه من الأمراء، بل وعليهم دفع الأموال المقررة عليهم، ثم تمادى أكثر في مطالبه، وأمرهم بأن يبتعدوا عن مذهب المجسمة وأن يلتزموا بالمذهب الأشعري وإلا فسوف يأتي خدابنده مرة أخرى بجيوش لا قبل لهم بها [59].

ولم يكن الشيخ براق فطنًا أو كيسًا في مثل هذه المواقف؛ لذا أخذ دوباج يسخر منه ومن خطابه الذي يحمل في طياته نبرة التعالي والغرور، ثم أخذ يسخر من هيئته حيث كان حليق الذقن والرأس وترك شاربه على غير عادة المسلمين في تلك الفترة، ولما علم منه أنه الصديق المقرب لقطلوشاه أخبره أنه سيلحقه بصديقه، وطلب من الجنود توصيله إلى قطلوشاه وهو على الخازوق، فلما رأه كذلك اكتنفه البكاء والعويل، ثم نصبوا بجوار قطلوشاه خازوقًا آخر فعرف أنه المقصود بذلك، فأخذ يصرخ وطلب شفاعة دوباج وأنه ما كان ليفعل ذلك لأنه صاحب دين وصالح من الصالحين، إلا أن الجنود لم ينصتوا لنحيبه ونصبوا أيضًا ثلاثين خازوقًا لأتباعه، وقاموا بإعدامهم جميعًا بالخوازيق، وتركوا غلامًا واحدًا قطعوا أذنه وأنفه لكي يعود بالأخبار وبما رآه إلى خدابنده خان المغول، وبالفعل وصل الغلام فتلقاه جوبان وأدخله على خدابنده وهو ينتحب ويرمي رأسه على الأرض، وأخبر خدابنده بكل ما حدث لقطلوشاه والأمراء السبعين وللشيخ براق في بلاد كيلان، وأنهم جميعًا تم إعدامهم على الخوازيق، فأخذ خدابنده يبكي وينتحب على مقتل قطلوشاه، وبكى أكثر على الشيخ براق، واستنكر على أهل كيلان أن يقتلوا هذا الشيخ

الصالح[60]، ثم أمر بتجهيز الجيش للثأر من بلاد كيلان، فإما أن يفنى الجيش المغولي أو يتم تدمير بلاد كيلان، وفتح جميع خزائن بلاده لتجهيز جيشه لهذه المعركة الكبرى[61].

حدث هناك خلط بين رواية العيني ورواية المصادر المملوكية حول تاريخ وطريقة مقتل قطلوشاه قائد المغول والشيخ براق؛ فذكر أحد المؤرخين أن قطلوشاه وبراق كانا تحت طاعة غازان خان، وهذا مخالف لما ورد في أغلب المصادر من أنهما كانا تحت قيادة خدابنده[62]، بل إن بيبرس الدوادار والنويري ذكرا أن تاريخ قتله كان في سنة 705هـ/1305م[63]، أضف إلى ذلك أن العيني ناقض نفسه وذكر أنه قتل في عام 703هـ/1303م في عصر غازان خان[64].

أما عن وسيلة قتل قطلوشاه فأغلب المصادر ذكرت أن جيش المغول قُتل غرقًا وحرقًا بكمين نصبه لهم ملوك كيلان؛ حيث فتحوا عليهم خليجًا مائيًا من ناحية البحر فأغرقوهم، ثم أضرموا النار والنفط في الحشائش الجافة في مكان المعركة فاحترق البقية، وأن قائد كيلان دوباج قتل قطلوشاه بسهم أصاب قلبه مباشرة[65]، ومن المؤرخين من ذكر مقتله دون أية تفاصيل[66]، زد على ذلك أن بعض المصادر المعاصرة للحدث ذكرت أن خدابنده فرح بمقتل قطلوشاه لأنه كان يخافه، وكان مسيطرًا عليه[67]، وهذا مناقض لما أورده العيني من حالة البكاء والنحيب التي سيطرت عليه عقب علمه بخبر مقتله، بل إن اثنين من المؤرخين ذكرا أن خدابنده نفسه كان موجودًا في هذه المعركة وأن أحد أهل كيلان أخذه ونجا به من الموت[68].

وكما اختلفت رواية المصادر حول قطلوشاه عن رواية العيني؛ اختلفت أيضًا حول مقتل الشيخ براق؛ فذكرت أنه أُرسل إلى بلاد كيلان في سنة 707هـ/1307م بهدف فتح الطريق أمام المغول لدخول بلادهم، وليس للوساطة في العفو عن قطلوشاه كما ذكر العيني، إلا أنهم رفضوا طلبه لأن في ذلك تهديدًا لبلادهم، ثم قبضوا عليه وبخوه قائلين له: أنت تقول إنك مسلمٌ وشيخ من الفقراء، وتحضر مع هؤلاء أعداء الدين، وسَلَقوه في دَسْت، وألقوه بعد ذلك في طَسْت[69]، واكتفى ابن كثير بقوله "فقتلوه وأراحوا الناس منه"[70]، دون أية إشارة إلى إعدامه على الخازوق كما أورد العيني.

على أية حال استشاط خدابنده غضبًا بعد هزيمة المغول ومقتل قطلوشاه والشيخ براق، وعزم على اجتياح بلاد كيلان ثانية والثأر منهم، وفتح خزائن البلاد لتجهيز عسكره، وفي الوقت نفسه كان ملوك كيلان الهاربين وعلى رأسهم نوبرشاه والذين دخلوا في طاعة المغول بقيادة قطلوشاه ظنًا منهم بأن أهل كيلان سوف يهزموا لا محالة؛ فلما وصلتهم أخبار هزيمة المغول ندموا على دخولهم بلاد المغول، وأصبحوا في حيرة من أمرهم ما بين البقاء في أرض المغول غير آمنين من بطش خدابنده، أو العودة إلى بلاد كيلان دون معرفتهم برد فعل جوان شير على هروبهم سابقًا، واستقر أمرهم على العودة إلى ديارهم في بلاد كيلان، وأن يكون عذرهم لجوان شير أنهم دخلوا إلى بلاد المغول ليكونوا عيونًا له إذا ما ساءت الأمور وهزم جيش كيلان، وبالفعل انتظروا التوقيت المناسب في وقت الليل وركبوا خيولهم متجهين صوب بلادهم، غير أن أخبارهم وصلت إلى خدابنده فأمر قائده جوبان بالزحف وراءهم، وبالفعل

لحقهم وكان عددهم خمسة عشر أميرًا ومائتي فارس، في حين كان جيش المغول حوالي ألفين من الفرسان، وحاقت الهزيمة بهؤلاء الأمراء بعد أن قاتلوا قتال الأبطال، وقام جوبان بقطع رؤوسهم وحملها معه إلى خدابنده الذي فرح كثيرًا وعين جوبان نائبًا له على الفور.[71]

أعطى خدابنده جيشه راحة في فصل الشتاء ليكون مستعدًا للاجتياح الأكبر لبلاد كيلان مع قدوم فصل الربيع، وبالفعل بمجرد أن بدأ الربيع إلا واجتمع لدى المغول جيش أعداده لا تحصى ولا تعد، وجاءت الأخبار لأهل كيلان بقيادة جوان شير عن طريق جواسيسهم في أرض المغول، فأخذوا في جمع حلفائهم والاستعداد لصد الغزو المغولي وعدم الاستسلام، وبدؤوا في نصب الكمائن ضد جحافل الجيش المغولي، وقبضوا بالفعل على الجواسيس الذين أرسلهم خدابنده لمعرفة خطط أهل كيلان ومداخل بلدتهم، ثم بادرهم أهل كيلان بالاستيلاء على خيول المغول، إلا أن هذه الهزائم لم تمنع المغول مع كثرة أعدادهم من إلحاق الضرر بأهل كيلان، وقتل وأسر الكثير منهم رجالًا ونساءً[72]، ويبدو أن حدوث بعض الأمور الطارئة مثل الزلزال الذي ضرب مملكة المغول من جهة، واستعداد المغول لمواجهة المماليك في بلاد الشام من جهة أخرى؛ جعلت خدابنده يرضى بالاتفاق مع أهل كيلان؛ لتأمين ظهره من جهة كيلان وجهة خراسان، وعاد الهدوء مرة أخرى بين البلدين بعد سلسلة طويلة من المعارك الحربية الطاحنة بين فئتين غير متكافئتين في العدد والعتاد، إلا أن التكتيكات الحربية وحرب الكمائن بالإضافة إلى الطبيعة الجغرافية لبلاد كيلان وقفت عائقًا ضد الاجتياح المغولي لهذه البلاد رغم أعداد جنودهم التي لا تحصى ولا تعد[73].

الخاتمة:

كشفت الدراسة أن الحافظ العيني نقل أغلب معلوماته عن الصراع المغولي مع بلاد كيلان من المؤرخ اليوسفي في كتابه "نزهة الناظر"، وقد صرح بذلك في كتابه "عقد الجمان"، ومع فقدان الأجزاء الأولى من كتاب اليوسفي فإن العيني أسدى إلينا صنيعًا بحفظه للنقولات الكثيرة التي نقلها عنه، التي تضمنت تفصيلات نادرة لم نجد لها صدى في المصادر المملوكية الأخرى.

أثبتت الدراسة أن الصراع المغولي مع بلاد كيلان كانت شرارته الظاهرة مذهبية، حيث لعب الشيخ براق دورًا كبيرًا في تأجيج غضب خدابنده على ملوك كيلان نصرة للدين من وجهة نظره؛ إلا أن الهدف الحقيقي كان هو السيطرة على هذه البلاد نظرًا للموقع الإستراتيجي الذي يشكل حاجزًا دفاعيًا للدولة المغولية ضد القوى المجاورة لها من جهة، بالإضافة إلى الثراء الاقتصادي الذي تميزت به هذه البلاد من جهة أخرى.

كشفت الدراسة عن مدى التناقض في المعلومات الواردة عند المؤرخ العيني عن هذا الصراع مقارنة بالمصادر المملوكية الأخرى، بل وجدنا أيضًا بعض التناقضات عند المؤرخ العيني نفسه، ويبدو أن العيني غلبت عليه المذهبية في تناول بعض الأمور الدينية حيث وضح تحيزه المذهبي نحو أهل كيلان في الوقت الذي تحامل فيه على المغول وشيوخهم رغم انتمائهم للإسلام.

التوصيات: –

- يجب على الباحثين توظيف التكنولوجيا المتاحة في البحث عن موضوعات حضارية وسياسية دقيقة غير مطروقة بعيدًا عن الموضوعات التقليدية التي تمت دراستها نقدًا وتفصيلًا.
- كذلك أصبحت الحاجة ملحة لاستخدام المناهج العلمية الحديثة في محاولة تفسير بعض الموضوعات التي تمت دراستها سابقًا رغبة في الخروج بنتائج جديدة تخدم مقومات البحث العلمي.
- التوصية بدراسة مؤلف المؤرخ العيني "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" وبصفة خاصة مرجعيته التاريخية وموارده التي نقل منها؛ لأن بها الكثير من التفصيلات التي لا نجدها في مؤلفات أخرى.

الملاحق

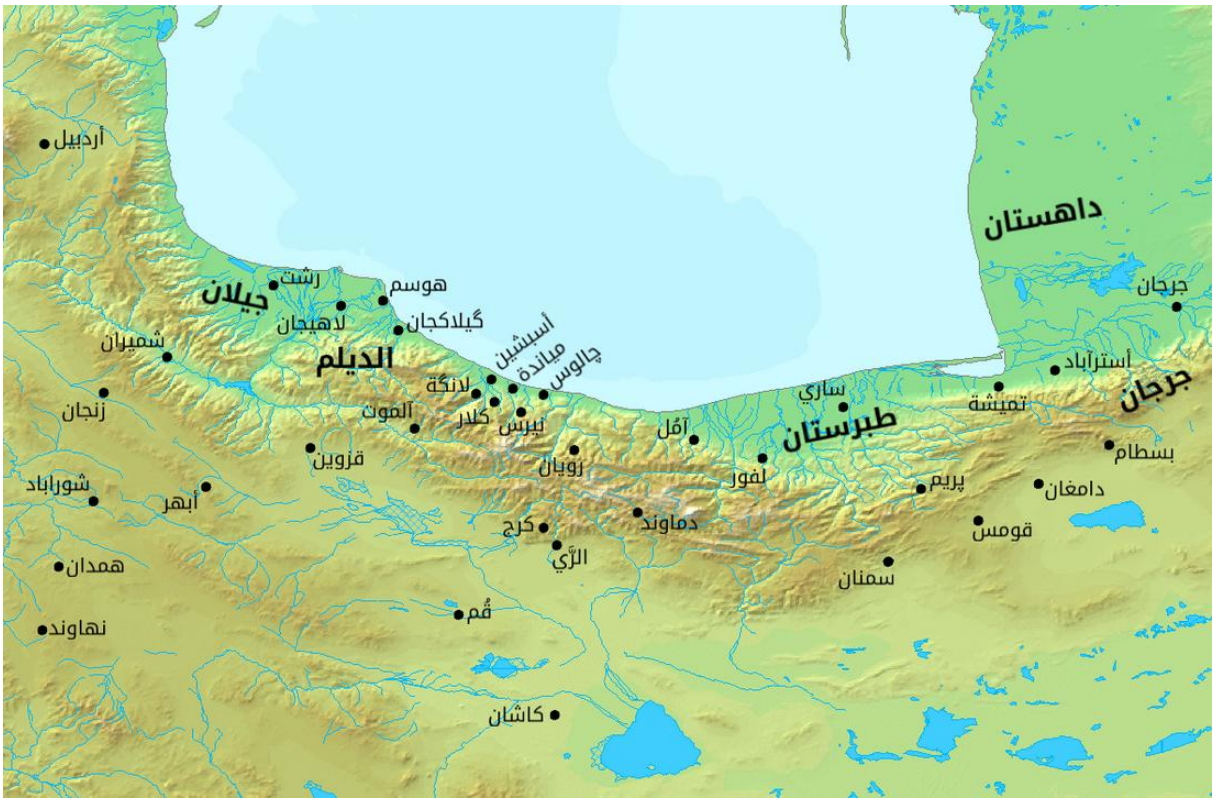

خريطة لبلاد الديلم وجيلان (كيلان)

حواشي البحث:

[1] ابن حجر، شهاب الدين أحمد (ت.825هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج6، (الهند: حيدر آباد الدكن، 1972م)، ص146.

[2] اليوسفي، محمد بن موسى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، (بيروت: عالم الكتب، 1986م)، ص8.

[3] العيني، محمود بن أحمد (ت. 855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب القومية 2010م)، ص29.

[4] العيني، عقد الجمان، ج3، ص62، 66.

[5] العيني، عقد الجمان، ج3، ص117.

[6] العيني، (عقد الجمان، ج3، ص62.

[7] بيبرس، ركن الدين الدوادار (ت.725هـ)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س ريتشاردز، (بيروت: الشركة المتحدة 1998م)، ص392-400.

[8] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت.808هـ)، تاريخ ابن خلدون الموسوم "العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، مراجعة سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر 1981م)، ص619؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص113؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص319.

[9] المقدسي، محمد بن أحمد (ت.380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (القاهرة: مكتبة مدبولي 1991م)، ص28؛ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر القاهرة 1423هـ، ص157؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله الرومي (ت.626هـ)، معجم البلدان، ج2 (بيروت: دار صادر 1995م)، ص201؛ القزويني، أبو يحيي زكريا (ت.682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر 1968م)، ص353- 354؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت.748هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ج42، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م)، ص114؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت.768هـ)، مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج3، وضع حواشيه: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية 1997م)، ص265.

[10] أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت.732هـ)، تقويم البلدان، (مطبعة باريس المحروسة، 1840م)، ص426-427؛ العمري، شهاب الدين أحمد ت(749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، (أبو ظبي: المجمع الثقافي1423هـ)، ص198، 222.

[11] العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص234-236.

[12] ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت.774هـ)، البداية والنهاية، ج18، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، (دار هجر للطباعة والنشر، 1417هـ)، ص73.

[13] ابن الدواداري، أبو عبد الله بن أيبك ت.739هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج9 الموسوم الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هانس روبرت رويمر، (القاهرة: المعهد الألماني بالقاهرة، 1960م)، ص150؛ ابن العسال، مفضل بن أبي الفضائل (ت.759هـ)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج1، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، (دمشق: دار سعد الدين، 2017م)، ص466.

[14] بيبرس الدوادار، زبدة، ص394؛ ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص149؛ العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص499؛ ابن العسال، النهج السديد، ج1، ص465؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت.764هـ)، عيون التواريخ، ج3، تحقيق: أحمد عبدالستار، زينب علي البنداري، مراجعة: أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: دار الكتب القومية2017م)، ص583؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص72؛ ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت.779هـ)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج1، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عاشور، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1976م)، ص282؛ درة الأسلاك في دولة الأتراك، ج2، تحقيق: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب القومية، 2014م)، ص293-294.

[15] البرزالي، علم الدين أبو القاسم (ت.739هـ)، تاريخ البرزالي المقتفي لتاريخ أبي شامة، ج3، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: المكتبة العصرية، 2006م)، ص324؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج3، ص559-560؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت.764هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، ج1، تحقيق: علي أبي زيد وآخرون، (بيروت: دار الفكر، 1998م)، ص685؛ الصفدي. الوافي بالوفيات. ج10. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. (بيروت: دار إحياء التراث 2000م)، ص66؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص4؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت.874هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عاشور، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب،1431هـ)، ص247.

[16] الكتبي، عيون التواريخ، ج3، ص559.

[17] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص681؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص67.

[18] البرزالي، المقتفي، ج3، ص324؛ النويري، شهاب الدين أحمد (ت.733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج32، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية 1423هـ)، ص126؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت.748هـ)، العبر في خبر من غبر، ج4، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م)، ص13؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج3، ص560؛ الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص681؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص67؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص181؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص63؛ المقريزي، تقي الدين أحمد (ت.845هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، ص409؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ص4-5؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص405- 406، 423؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج8، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1431هـ)، ص169-170؛ المنهل الصافي، ج3، ص247- 248؛ بامخرمة، عبد الله بن أحمد (ت.947هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج6، عناية: بو جمعة مكري، خالد زواري، (جدة: دار المنهاج، 2008م)، ص134.

[19] القزويني، أبو يحيي زكريا (ت.682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر، 1968، ص354.

[20] هو الشخص المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذي في خدمته، ويشرف أيضًا على السلاح خاناه، وهي كلمة من مقطعين أحدهما عربي بمعنى آلة القتال، والثانية فارسية بمعنى ممسك؛ فيكون المعنى ممسك السلاح. القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت.820هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)، ص456، 462؛ البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1988م)، ص182.

[21] كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق، وكانت تُدق نوبة للسلطان كل ليلة بعد صلاة المغرب، وتصحب السلطان في أسفاره وحروبه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص8، 9؛ البقلي، التعريف بمصطلحات، 228-229.

[22] البرزالي، المقتفي، ج3، ص324؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج3، ص560؛ الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص681، 685؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص67؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص63- 64؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص409؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص4؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص405؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص169- 170؛ المنهل الصافي، ج3، ص248؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت.927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، ص195.

[23] ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت.728هـ)، مجموع الفتاوى، 35، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة، 2004م)، ص163-165؛ وعن هذه الطائفة القلندرية انظر: ابن بيدكين، إدريس بن عبد الله التركماني (ت.710هـ)، اللمع في الحوادث والبدع، تحقيق: عبد الحق التركماني، (بيروت: دار ابن حزم، 2013م)، ص351-356.

[24] بلاد يقال لها أيضًا سيسة أو سيس، وهي من أعظم مدن الثغور الشاميّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص279.

[25] أحد الأماكن التاريخية المهمة في هضبة الأناضول بالقرب من مدينة بغراس، وشهدت هذه المنطقة حروبًا تاريخية كبرى بين المماليك والأرمن في عصر الظاهر بيبرس، وبها قلعة كبرى حصينة.

[26] العيني، عقد الجمان، ج4، ص424- 425.

[27] العيني، عقد الجمان، ج4، ص424.

[28] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص681- 682؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص66- 67؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص409-410؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص5؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص423؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص170؛ المنهل الصافي، ج3، ص248؛ النعيمي، الدارس، ج2، ص194-195.

[29] العيني، عقد الجمان، ج4، ص424- 425.

[30] ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص63؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص422.

[31] أعيان العصر، ج1، ص682- 685؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص67- 69؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص410؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص170.

[32] العيني، عقد الجمان، ج4، ص386.

[33] الذهبي، العبر، ج4، ص13- 14.

[34] ابن شداد، عز الدين محمد بن إبراهيم (ت.684هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، جـ3 ق2، تحقيق: يحيى عبارة، (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد، 1978م)، ص562.

[35] العيني، عقد الجمان، ج4، ص386-387.

[36] العيني، عقد الجمان، ج4، ص387.

[37] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص321؛ الوافي بالوفيات، ج13، ص216؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص205-206.

[38] العيني، عقد الجمان، ج4، ص387.

[39] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص133.

[40] العيني، عقد الجمان، ج4، ص388.

[41] الجدير بالملاحظة أن المصادر لم تحدد تاريخ وفاة كل من نوبرشاه وزكايون.

[42] العيني، عقد الجمان، ج4، ص388-389.

[43] العيني، عقد الجمان، ج4، ص389.

[44] العيني، عقد الجمان، ج4، ص389-390.

[45] العيني، عقد الجمان، ج4، ص390-391.

[46] العيني، عقد الجمان، ج4، ص391.

[47] العيني، عقد الجمان، ج4، ص391- 392.

[48] العيني، عقد الجمان، ج4، ص392.

[49] العيني، عقد الجمان، ج4، ص392-393.

[50] العيني، عقد الجمان، ج4، ص393-394.

[51] العيني، عقد الجمان، ج4، ص394-395.

[52] العيني، عقد الجمان، ج4، ص395-396.

[53] إحدى المناطق الموجودة في مملكة كيلان أو جيلان، إلا أنه من المؤسف أن المصادر الجغرافية لم تذكرها، ويبدو من الاسم أنها منطقة يكثر بها حيوان الجاموس.

[54] العيني، عقد الجمان، ج4، ص396-399.

[55] الخازوق هو وسيلة إعدام وتعذيب، وهي تمثل إحدى أشنع وسائل الإعدام، حيث تخترق جسد الضحية عصا طويلة وحادة من ناحية وتخرج من الناحية الأخرى، وقد شاع استخدامها عند المماليك والمغول، واستمرت إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. انظر بالتفصيل: العصفور، سعود محمد، وسائل التعذيب في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، مج31، 2003م، 57-107.

[56] العيني، عقد الجمان، ج4، ص399-401.

[57] العيني، عقد الجمان، ج4، ص401- 402.

[58] العيني، عقد الجمان، ج4، ص402.

[59] العيني، عقد الجمان، ج4، ص402- 403.

[60] العيني، عقد الجمان، ج4، ص403- 404.

[61] ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص150؛ البرزالي، المقتفي، ج3، ص357- 358؛ ابن العسال، النهج السديد، ج1، ص466.

[62] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص321؛ الوافي بالوفيات، ج13، ص216.

[63] بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، 386؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص417.

[64] العيني، عقد الجمان، ج4، ص318.

[65] أبو الفدا، المختصر، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ب. ت.)، ص52؛ ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص149-150؛ ابن الوردي، زين الدين عمر (ت.749هـ)، تاريخ ابن الوردي الموسوم" تتمة المختصر في أخبار البشر"، ج2، (بيروت: دار الكتب العلمية 1996م)، ص246؛ ابن العسال، النهج السديد، ج1، ص465؛ الكتبي،

عيون التواريخ، ج3، ص58-584؛ الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص321؛ الوافي بالوفيات، ج13، ص216؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص73؛ ابن حبيب، درة الأسلاك، ج2، ص294؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص619؛ النعيمي، الدارس، ج2، ص191؛ ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد (ت1346هـ)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1985)، ص335.

[66] بيبرس، ركن الدين الدوادار (ت.725هـ)، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح، (بيروت: الدار المصرية اللبنانية، 1987م)، ص178.

[67] ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص150؛ الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص322؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج3، ص584؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص73.

[68] ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص150؛ ابن العسال، النهج السديد، ج1، ص465.

[69] أعيان العصر، ج1، ص682؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص5؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص249.

[70] ابن كثير، البداية والنهاية، ج18، ص73.

[71] العيني، عقد الجمان، ج4، ص450-452.

[72] بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص394.

[73] انظر تفاصيل هذا الصراع في: العيني، عقد الجمان، ج4، ص449، 453-457.